# الميثاق في عالم الذر بين التفسير القرآني والتأويل الروائي
# دراسة تحليلية ومقارنة بين تفسير العلامة الطباطبائي
# ورؤية الشيخ محمد رضا الغراوي ـ سورة الأعراف الآية ١٧٢ أنموذجاً


المشرف الاول : الدكتور محمد رضا فريدوني

المشرف الثاني : الدكتور علي رضا صفاريان

رافد منذر جاسم الغرّاوي / كلية العلوم الانسانيّة

جامعة بو علي سينا / همدان/ جمهورية ايران الاسلاميّة


The Covenant in the World of Dharr Between Qur'anic Exegesis and Narrative Hermeneutics: An Analytical and Comparative Study Between the Exegesis of Allamah Tabatabai and the View of Sheikh Muhammad Ridha al-Gharawi – Surah Al-A'raf, Verse 172 as a Case Study


First Supervisor: Dr. Mohammad Reza Fereydouni

Second Supervisor: Dr. Ali Reza Safarian

Rafid Munther Jassim Al-Gharawi / Faculty of Humanities

Department of Theology – Qur'anic Sciences and Hadith

Faculty of Humanities / Bu Ali Sina University

Hamadan – Islamic Republic of Iran

## ملخص البحث

تضمنت آية الميثاق من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ حدثاً إلهياً أقام الله به الحجّة البالغة على ذرية آدم ليدرأ عنهم مقالة الغفلة يوم القيامة. وقد اختلف المفسران في تأويل هذه الآية على قولين: فالعلامة الطباطبائي ذهب إلى أن (الأخذ) تولدي تناسلي يجري في الدنيا من ظهور الآباء إلى أصلاب الأبناء، وأن (الإشهاد) إشهاد فطري بلسان الحال لا بلسان المقال، وأن النسيان لا يضر الحجّة، لأن أصل المعرفة بالربوبية باقٍ في الفطرة لا يزول. وأما الشيخ الغراوي فذهب إلى أن (الأخذ) كان حقيقة في عالم الذر، وأن (الإشهاد) كان خطاباً حقيقياً سمعوه وأجابوا عليه، وأن النسيان حصل بسبب تأثير الموت والانتقال من عالم إلى آخر مستشهداً بقصص عزير وأصحاب الكهف وأهل النار. والخلاف بين الرجلين منهجي بالأساس: فالطباطبائي يعتمد على القرآن وحده، والغراوي يعتمد على الروايات إلى جانب القرآن. ومع ذلك، فهما متفقان على إقامة الحجّة ونفي الجبر وإثبات الاختيار ووقوع النسيان وأهمية التذكير بالرسل والكتب. ويمكن التوفيق بين الرأيين بحمل الآية على ظاهرها وهو ما ذهب إليه الطباطبائي، وعلى باطنها وهو ما أكدته الروايات وذهب إليه الغراوي. وكلا المفسرين مجتهد مصيب على صعيد منهجه، والله أعلم بمراده.

الكلمات المفتاحية: آية الميثاق، عالم الذر، التفسير القرآني، التأويل الروائي، العلامة الطباطبائي، الشيخ محمد رضا الغراوي، سورة الأعراف، الآية ١٧٢، الفطرة، الإشهاد، الحجة البالغة، الاخذ، النسيان.

## Absteract

The Verse of the Covenant in Surah Al-A'raf: ﴿And when your Lord took from the children of Adam, from their loins, their progeny, and made them bear witness against themselves, "Am I not your Lord?" They said, "Yes, we bear witness"﴾ contains a divine event by which God established the conclusive proof for Adam's descendants to ward off from them the claim of forgetfulness on the Day of Judgment. The two exegetes differed in interpreting this verse into two views: Allamah Tabatabai held that "taking" is a generative procreation occurring in this world from the loins of fathers to the spines of sons, and that "bearing witness" is an innate witnessing by the language of state, not by the language of speech, and that forgetfulness does not harm the proof because the original knowledge of Lordship remains in the innate nature and does not disappear. As for Sheikh al-Gharawi, he held that "taking" was real in the world of Dharr (pre-existence), and that "bearing witness" was a real address that they heard and responded to, and that forgetfulness occurred due to the effect of death and transition from one world to another, citing the stories of Uzair, the Companions of the Cave, and the people of Hell. The disagreement between the two is fundamentally methodological: Tabatabai relies on the Qur'an alone, while al-Gharawi relies on narrations alongside the Qur'an. Nevertheless, they agree on the establishment of proof, the negation of determinism, the affirmation of choice, the occurrence of forgetfulness, and the importance of reminding

through messengers and books. Reconciliation between the two views is possible by interpreting the verse according to its apparent meaning, which is what Tabatabai held, and according to its esoteric meaning, which is what the narrations affirmed and al-Gharawi held. Both exegetes are mujtahids correct in their methodology, and God knows best His intent

Keywords: Ayat al-Mithaq, World of Dharr, Qur'anic Exegesis, Narrative Hermeneutics, Allamah Tabatabai, Sheikh Muhammad Ridha al-Gharawi, Surah Al-A'raf, Verse 172, Fitrah, Divine Witnessing, Conclusive Proof, Taking, Forgetfulness.

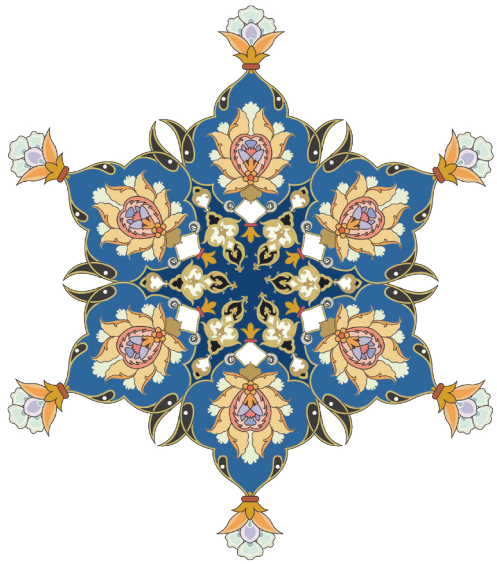

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الاعراف:١٧٢]

تمهيد:

الحمد لله الذي فطر الناس على توحيده، وأشهدهم على أنفسهم قبل أن تشهد عليهم جوارحهم، وجعل في غرائزهم ما يرجعون إليه إذا ذكروا، وما يحتج به عليهم إذا غفلوا ونسوا. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]. والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم أركان الميثاق وأعلام الهدى، وأظهر فضلهم لملائكته ولأبينا آدم وجميع خلقه في عالم الذر.

وبعدُ،

فإن آية الميثاق من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، من الآيات التي أكثر المفسرون الكلام فيها قديماً وحديثاً، وتعددت فيها الأقوال تعدداً بلغ حد التباين أحياناً، فمن قائل إن الميثاق كان في هذه النشأة الدنياوية وهو ميثاق فطري تكويني لا يحتاج إلى زمان خاصّ، ومن قائل إنه كان في عالم سابق على الدنيا يعرف بعالم الذر أو عالم الأظلة، ومن قائل إن للآية ظاهراً وباطناً يجمع بين المعنيين، ولأهمية هذه الآية في بيان أصل التكليف وحقيقة الفطرة وماهية الإيمان بالله ورسوله وآله ﷺ، وقع الاختيار على دراسة تحليلية مقارنة بين علمين من أعلام المدرسة الإمامية في العصر الحديث: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) الذي يمثل المنهج التفسيري القائم على تفسير القرآن بالقرآن مع الاستعانة بالبراهين الفلسفية، والشيخ محمد

رضا الغراوي صاحب كتاب (حل الإغلاق عن أخبار الطينة والميثاق) الذي يمثل المنهج الروائي الأثري القائم على النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

وقد رتبت هذه المقالة على أربعة مباحث: المبحث الأول في تعريف الميثاق لغةً واصطلاحاً تمهيداً لما بعده، والمبحث الثاني في مفهوم (الأخذ) في الآية الكريمة، والمبحث الثالث في مفهوم (الإشهاد)، والمبحث الرابع في مفهوم (النسيان)، ونرجو من الله التوفيق والسداد.

## المقدمة

بسم اللهّ الرّحمن الرّحيم

الحمد كلّ الحمد للهّ تبارك و تعالى، هو ولي النعمة و مصدر الرحمة:

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِّ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الاعرف:٥٦]، و الصلاة و السّلام على جميع أنبياء اللهّ و رسله، و على خاتمهم سيدنا محمد، و على آله و أصحابه، و أتباعه و أحبابه، و من دعا بدعوته بإحسان الى يوم الدين.

و أستفتح بالذي هو خير: ﴿رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا، وَ إِلَيْكَ أَنَبْنا، وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٦].

فإن دراسة آية الميثاق من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، تعد من أخطر المباحث القرآنية وأعمقها أثراً في فهم العلاقة بين الله والإنسان، وأصل التكليف، وحقيقة الفطرة، وماهية الإيمان بالله ورسوله وآله، وقد حظيت هذه الآية بعناية فائقة من المفسرين على مرّ العصور، فتباينت أنظارهم في تفسيرها بين اتجاهات متعددة، من أبرزها: الاتجاه الذي يرى أن الميثاق وقع في هذه النشأة الدنيوية وهو ميثاق فطري تكويني، والاتجاه الذي يرى أنه وقع في عالم سابق على الدنيا يعرف بعالم الذر أو عالم الأظلة، والاتجاه الثالث الذي توسط وجمع بين القولين بحمل الآية على ظاهرها وباطنها.

وقد اعتمدت هذه المقالة على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وذلك من خلال: وصف أقوال المفسرين كما وردت في مصادرهم الأصلية، وتحليل تلك الأقوال واستخلاص مضامينها، ثم المقارنة بينها لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والروايات الواردة عن الأئمة المعصومين ع، والإشارة إلى المصادر الأصلية لكل نص.

وقد قسمت هذه المقالة إلى أربعة مباحث رئيسية، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتليها خاتمة وخلاصة، فالمبحث الأول: تعريف الميثاق لغةً واصطلاحاً، وفيه بيان معنى الميثاق في اللغة كما ورد في المعاجم العربية، وفي الاصطلاح كما عرّفه كبار العلماء، واما المبحث الثاني: مفهوم (الأخذ) في آية الميثاق، وفيه عرض قول العلامة الطباطبائي في (تفسير الميزان) وتحليله، ثم عرض قول الشيخ الغراوي في (كتاب حل الإغلاق عن اخبار الطينة والميثاق) وتحليله، ثم الموازنة بين التفسيرين مع بيان نقاط الاتفاق والاختلاف، والمبحث الثالث: مفهوم (الإشهاد) في الآية الكريمة، وفيه عرض الأقوال وتحليلها مع الاستشهادات القرآنية، ثم التقريب بين الرأيين. والمبحث الرابع: مفهوم (النسيان) في الآية، وفيه عرض قول كل من المفسرين مع الاستدلال بالآيات القرآنية التي أوردها الشيخ الغراوي في قصص عزير ع، وأصحاب الكهف ع، وأهل النار، ثم المقارنة والتقريب بين التفسيرين. وقد حرصت في هذه المقالة على الحفاظ على النصوص الأصلية للمفسرين كما هي ، مع التعليق عليها بما يوضحها ويكشف عن مضامينها.

وأسأل الله أن يوفقني لإتمام هذا العمل على الوجه الذي يرضيه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده المؤمنين. إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وهذا أوان الشروع في بيان المرام ونقول:

نبذة علمية موجزة في سيرة العلامة الطباطبائي والشيخ الغراوي ره

أولاً: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢هـ/ ١٩٠٤-١٩٨١م)

قال العلامة محسن الأمين ره في كتاب (أعيان الشيعة: ج٩/ ٢٥٤)، مترجماً له ره :

السيد محمد حسين الطباطبائي توفّى ١٤٠٢ في قم بعد أن بلغ سنا عالية. قال في ترجمة نفسه:

ولدتُ في أسرة علمية بمدينة تبريز وقد حازت شهرة علمية منذ زمن بعيد في ذلك البلد وفقدت أمي في الخامسة من عمري وأبي في التاسعة منه، فذقت بذلك ألم اليتم وأحسست به منذ صباي، ولكن الله قد من علينا بيسر في المعيشة والمال ويراقبني وأخي الصغير وصي أبينا، عملا بوصية المرحوم ويرعانا بخلقه الاسلامي الكريم، واستخدم خادما بالإضافة لزوجته لمراقبتنا نحن الأطفال الصغار.

وبعد شطر من عمرنا ذهبنا إلى المدرسة وباشراف معلم خاص، كان يأتي إلى بيتنا كل يوم، وقد بدأنا بدراسة اللغة الفارسية وآدابها وبعد ست سنوات متتالية فرغنا من تعلمها ومن الدراسات البدائية للأطفال.

في تلك الأيام لم يكن للدراسات البدائية المدرسية برنامج خاص بل يتهيأ للطالب عند وروده المدرسة، وكل أحد يتعلم حسب ذوقه واستعداده للدراسة.

وقد انتهيت من تعلم القرآن الكريم الذي كان يدرس قبل كلّ شيء ومن ثم من كتاب گلستان وبوستان لسعدي الشيرازي ونصاب الصبيان وأنوار سهيلي وأخلاق مصور وتاريخ معجم ومنشآت أمير نظام وارشاد الحساب وهكذا تمت دراستنا في الدور الأول في تعلم الأطفال.

ثمّ شرعتُ بدراسة العلوم الدينية واللغة العربية، وفرغت من دراسة المتون العلمية المتعارفة آنذاك لدى الأوساط العلمية، ففي خلال سبع سنوات، قرأت في علم الصرف ولاشتقاق كتب الأمثلة وصرف مير والتصريف، وفي النحو كتاب: العوامل في النحو والنموذج والصمدية وألفية ابن مالك مع شرحه للسيوطي وكتاب النحو للجامي والمغني اللبيب لابن هشام، وفي المعاني والبيان كتاب: المطول للتفتازاني، وفي الفقه: الروضة البهية للشهيد الثاني، والمكاسب للشيخ الأنصاري، وفي أصول الفقه كتاب: المعالم في أصول الفقه للشيخ زين الدين، وقوانين الأصول للميرزا القمي، والرسائل للشيخ الأنصاري، وكفاية الأصول لآية الله الآخوند، وفي المنطق:

الكبرى في المنطق وكتاب الحاشية وشرح الشمسية، وفي الفلسفة: الإشارات والتنبيهات لابن سينا، وفي الكلام: كشف المراد للشيخ خواجا نصير الدين الطوسي، وهكذا انتهيت عن المتون الدراسية غير الفلسفة المتعالية والعرفان.

واستكمالا لدراساتي الاسلامية ذهبت إلى النجف الأشرف فحضرت درس الأستاذ آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني، ودرست خارج أصول الفقه لمدة ست سنوات متتالية، وفي أثناء تلك الفترة كنت أحضر الدراسات العالية في التشريع الاسلامي والفقه الشيعي لشيخنا آية الله النائيني وأكملت عند سماحته أيضا دورة كاملة خارج أصول الفقه لمدة ثمانية سنوات، وفي الرجال تتلمذت في: كليات علم الرجال على المرحوم آية الله الحجة الكوهكميري.

كان أستاذي في الفلسفة الاسلامية، هو حكيم الاسلام السيد حسين البادكوبي وقد تتلمذت على سماحته في منظومة السبزواري والأسفار والمشاعر للملا صدرا، والشفاء لابن سينا، وكتاب اثولجيا لأرسطو، والتمهيد لابن تركه، والاخلاق لابن مسكويه.

وقد كان الأستاذ البادكوبي يحبني كثيرا ويشرف بنفسه على دراستي وتريخ جذور التربية في وجودي، ومن ذلك كان يرشدني إلى مدارج الفكر وطرق الاستدلال، حتى اعتدت بها في تفكيري، ومن ثم أمرني ان احضر درس العالم الفلكي السيد أبو القاسم الخونساري فقرأت معه:

الرياضيات العالية دورة كاملة والعلوم الهندسية بكلا قسميها:

المسطحة والفضائية والجبر الاستدلالي.

ثم اضطررت إلى العودة إلى الوطن إثر تدهور الأوضاع الاقتصادية ونزلت بمدينة تبريز مسقط رأسي وأقمت بها مدة أكثر من عشر سنين، ففي الحقيقة كانت تلك الأيام أيام تعيسة في حياتي لأني بسبب الحاجة الماسة للإعاشة ولامرار شؤون الحياة انشغلت عن التفكر والدراسة واشتغلت بالفلاحة والزراعة، وكنت أشعر بخسارة روحية عند ما

كنت هناك وكان يسود البؤس نفسي ويظلني غمام الألم والضجر، حيثما كنت مشغولا عن الدراسة والتفكير. ثم أغمضت العين عن أمر المعاش وتركت المدينة عائدا إلى قم المشرفة وحين نزلتها أحسست بنجاتي من السجن المؤلم، شاكرا العلي القدير، لأنه أجاب دعائي وأعطاني التوفيق والسداد في سبيل العلم واعداد رجال الدين وتهيئة جيل صالح لخدمة الاسلام والشريعة المحمدية ص، والى الآن وقد قضيت أيامي في تلك البلدة المشرفة حرم الرسول.

نعم، لكل أحد حسب ظروف الحياة، فترات حلوة ومرة طوال حياته، ولي أيضا خاصة من ناحية اني قضيت فترة من حياتي في اليتم ومفارقة الأحبة وذقت ألم اليتم بكل شعوري وعواطفي، وقد واجهت بملمات مؤلمة طول حياتي، ولكن ربي لم ينسني لحظة واحدة فقد ساعدني دوما بنفاحته القدسية في مزالق خطيرة وكأني أحسست أن قوة خفية جذبتني وأزالت كل العوائق عن طريقي.

فعند ما كنت طفلا ومتعلما بعلمي: الصرف والنحو، لم أجد في نفسي رغبة في مواصلة التحصيل والدراسة ومضت أربع سنوات ولم افهم ما ذا أقرأ، ولكني فجأة وجدت نفسي مطمئنا وكأني أصبحت على غير ما كنت عليه أمس، فاهما مجدا في سبيل العلم والتفكير، ومنذ ذلك اليوم والحمد لله إلى أخريات أيام دراستي زهاء سبعة عشر سنة ما كسلت وما توانيت في طلب العلم، فقد نسيت حوادث الدهر وملذات الحياة وتعاستها وانقطعت عن كل أحد وكل شئ غير اهل العلم وأصحاب الفضيلة مقتصرا على الحاجيات الأولى في الليل والنهار ووقفت نفسي للدرس والتعليم وبث معارف الاسلام وتربية الطلاب.

وطالما قضيت الليل في القراءة خاصة في فصلي: الربيع والصيف حتى تطلع الشمس وأنا مشغول بالمطالعة، وكم معضلة حلت لي خلال مطالعاتي وكنت أقرأ درس الغد قبل مجئ يومه فلا تبقى لي مشكلة حين عند ما أواجه الأستاذ.

المؤلفات التي كتبتها في النجف:

رسالة في البرهان، و رسالة في المغالطة، و رسالة في التحليل، و رسالة في التركيب، و

رسالة في الاعتباريات الأفكار التي يخلقها الانسان، و رسالة في النبوة ومنامات الانسان.

واما المؤلفات التي ألفتها في تبريز:

رسالة في اثبات الذات، و رسالة في الصفات، و رسالة في الأفعال، و رسالة في الوسائط بين الله والإنسان، و الانسان في الدنيا، و الانسان بعد الدنيا، و رسالة في الولاية، و رسالة في النبوة، و هذه الرسائل مقارنة بين العقل والنقل، و رسالة في انساب السادات الطباطبائيين في آذربيجان.

الكتب التي ألفتها في قم:

الميزان في تفسير القرآن، في عشرين مجلدا باللغة العربية ورجم إلى اللغة الفارسية وصدر منه ٣٧ مجلدا. والتفسير يفسر القرآن بنفسه، فالقرآن نور وهداية، فكيف لا يكون هذاية لنفسه، و أصول الفلسفة الواقعية ٥ مجلدات، طبع ٤ مجلدات منها لحد الآن، و تعليق على كفاية الأصول، و تعليق على كتاب الأسفار صدر الدين الشيرازي، و الوحي أو الشعور الخفي، و رسالة في الحكومة الاسلامية بالفارسية والعربية والألمانية، و مناظرات مع البروفسور كربن حول الشيعة عام ١٣٣٨، و مناظرات مع نفس البروفسور عام ٣٩ ٤٠ حول دور التشيع في عالم اليوم، و رسالة في الاعجاز، و علي والفلسفة الإلهية، وترجم إلى الفارسية أيضا، و الشيعة في الاسلام، و القرآن في القرآن، و جميع المقالات التي ألقيتها في التعريف للشيعة كنت موركان أستاذ جامعة هاروارد الأمريكية، و وأخيرا سنن النبي ص الذي ترجمه إلى الفارسية الكاتب الاسلامي محمد هادي فقهي في أربعمائة صفحة. انتهى.

وقد توفّى السيد الطباطبائي قبل ظهر يوم الأحد شهر آبان من السنة الهجرية الشمسية ١٣٦٠ الموافق للثامن عشر من محرم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ. وتم تشييعه تشييعا مهيبا في اليوم الثاني من مسجد الإمام الحسن العسكري باتجاه حرم السيدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها) بنت الإمام الكاظم ، وكان في مقدمة المشيعين المرجع الكبير السيد محمد رضا الكلبايكاني (ره) الذي أقام صلاة الميت على الجثمان الطاهر متقدما الحشود الكبيرة من المشيعين، ثم حمل إلى مثواه الأخير في مسجد «بالا سر» الواقع في حرم السيدة المعصومة

(س) حيث ووري الثرى هناك.

ثانياً: الشيخ محمد رضا الغراوي (١٣٠٣-١٣٨٥هـ / ١٨٨٦-١٩٦٥م)

آية الله الشيخ محمّد رضا الغرّاوي ره

فقد ترجمته في كتابي روض العطاء في حياة الشيخ محمد رضا المعطاء :ج١/ ١٣، إذ قلت: هو أبو القاسم العلامة الكبير والعالم النحرير الحبر علامة عصره وفريد دهره آية الله الشيخ محمّد الرضا ابن العلامة الفقيه الشيخ القاسم ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ ناصر الغرّاوي لقبًا والخزرجي نسبًا والنجفي أصلاً ومسكنًا.

مولده:

ولد ره في العاشر من شهر شوال (سنة ١٣٠٣هـ) ، في قرية تسمى مَيَامِين، بطريق خراسان إذ كان والداه (رحمة الله عليهما) عائدين من زيارة الإمام الرضاعليه السلام في تلك السنة.

وذكر ره في كتابه المخطوط معرفة الأحول في علم الرجال، المقدّمة ترجمة المؤلف: (أَنَّهُ غرق في نهر سمنان وعمره من الدُّنيا ثلاثة أيّام وأخرجوه من الماء حيًّا لم يبل الماء شيئاً من جسده ببركة الإمام الرضا عليه السلام).

نشأته العلمية والثقافية:

بالرغم من أن شيخنا المترجم له فقد أباه وهو لم يتجاوز بعد السنة الخامسة من عمره فقد كانت نشأته نشأة صالحة أهلته لأن يكون علماً من أعلام العلم وجهبذاً من جهابذة الثقافة ومؤلفاً مكثراً واسع الاطلاع.

توفّى والده ره في سامراء فكفلته والدته، وكان آية الله العظمى السيّد ميرزا حسن الشيرازي ره (ت١٣١٢هـ)، يتعهده وهو صبي، وتوفّى بعدها وقد بلغ الثامنة من عمره، واتّجهت به أمُّه صوب التعليم في حوزة النّجف الأشرف، وكانت ترعاه لشدة ذُكائه.

قرأ المبادئ على العلامة الشيخ جعفر وأخيه الشيخ عبدالله القرشيين النجفيين، وفي البحث الخارج حضر عند أكثر علماء عصره: كالعلامة الشيخ عليّ رفيش، والعلامة الشيخ

محمّد جواد الحولاوي، والسيّد عبد الرزاق الحلو والشيخ أحمد، وأخيه الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، والسيّد صاحب العروى الوثقى، والمحقق صاحب الكفاية، والشيخ جعفر آل الشيخ راضي الفقيه، والشيخ هادي آل كاشف الغطاء، والشيخ مهدي المازندراني، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، وقد أجازه بالرواية اغلب علماء عصره .

هكذا نشأ ره ملتهماً العلم من هذه العيون النابعة الفياضة، ومرتشفًا في هذه الأنهار المتلاطمة من الثقافة الإسلامية العالية، ومستضيئًا بهذه المصابيح الوضاءة، وسالكاً مسلك آل محمّدﷺبإرشاد علماء الأمّة والسادة القادة.

وتوفرت جهود هؤلاء الجهابذة على تنشئة تلميذهم النابه، فكانت الثمرة الطيبة التي أتت أُكُلُها، وخلفت هذا التراث الذي سيبقى درة ناصعة في جبين الدهر.

آثاره العلمية :

تفرغ ره للتصنيف والتأليف والبحث، وترك الأصدقاء والأخلاء متجهاً الى صديق لا يخون وخليل لا يمل منه ولا يتضجر، ذلك هو الكتاب والقلم، فكانت لَهُ مؤلفات ضخمة أثرت المكتبة الإسلامية وهو إلى جانب موسوعته القيمة (اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب: ٣٣ مجلد) والتي تعد موسوعة علمية كبيرة تحتاج إلى جهود جبارة لإخراجها، وألف الكثير من الكتب في شتى الموضوعات العلمية والأدبية والإسلامية.

ومن مؤلفاته: أبواب الرحمة في أحوال النبي والأئمة ع، تمّ تأليفه (سنة ١٣٥٩هـ)، وأحسن الحديث في شرح رسالة الاستاذ الشيخ جعفر آل شيخ راضي ره، تمّ النظم و الشرح (سنة١٣٣٩هـ)، و أحسن القصص في أخبار الأنبياءع، تمّ تأليفه (سنة١٣٧٤هـ)، أدلة الأحكام في شرح شرائع الاسلام، وهو شرح متوسط على كتاب الشرائع، وتمّ تأليف أربعة اجزاء الجزء الأول منه (سنة ١٣٤٣هـ)، والثاني (سنة ١٣٥٧هـ)، والثالث (سنة ١٣٦٢هـ)، والرابع (سنة ١٣٦٤هـ)، والأربعون حديثا، وتم الاختيار و الشرح في (سنة ١٣٣٥هـ.) تمّ تحقيقه من قبلي، وإزالة الغواشي في مدرك الحواشي، ألفه(سنة١٣٣٠هـ)، وأصدق المقال في علمي الدراية والرجال، تمّ تأليفه (سنة ١٣٤١هـ)، وإقليد النجاح في

شرح دُعاء الصباح، وألفه (سنة١٣٦٣هـ)، أماني الأديب في مختصر مغني اللبيب، أختصر فيه مغني اللبيب لابن هشام، وتم الإختصار (سنة١٣١٩ هـ)، وتمّ طبعه وتحقيقه من قبلي وبمشاركة الدكتور حيدر كريم الجمالي، وأنباء الغيب، رسالة مختصرة في علم الجفر، والإنذار لقطع الأعذار في الإمامة، تمّ تأليفه(سنة١٣٦٩هـ) تمّ تحقيقه من قبلي، والأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، تمّ تأليفه( سنة١٣٦١هـ)، وأنوار الغرر في المواريث، منظومة تحتوي على ٣٥١ بيتا في المواريث، نظمها (سنة١٣٣٥هـ) وأهبة المعاد في المبدأ والمعاد، بحث مستفيض في المعاد الجسماني، تمّت كتابته (سنة١٣٢٩هـ)، وبشرى الأخيار في زيارات النبيّ والأئمة الأطهارع، ألفه(سنة١٣٧٣ هـ)، وبلوغ منى الجنان في تفسير بعض الفاظ القرآن، معجم لغوي لبعض الألفاظ غريب القرآنية من الجهة التاريخية والادبية وغيرهما تمّ تأليفه (سنة١٣٤٩هـ)، تمّ تحقيقه من قبلي، والبضاعة المزجاة، في الأخلاق والمواعظ والسير في ثلاثة اجزاء كل جزء يحتوي على مائة وعشرين مجلساً، تم تأليف الجزء الأول (سنة١٣٥٠ هـ)، والثاني والثالث( سنة١٣٤٩ هـ) وطبع الجزء الأول في النّجف الأشرف (سنة١٣٥٣ هـ)، وذكر في الذريعة: ٣ / ١٢٧، وتصريح الحديث والخبر في اسماء الأئمة الاثني عشر، ألفه (سنة ١٣٧٤هـ)، و تعريف الحيران في كيفية خلق الإنسان، ألفه (سنة١٣٧٧ هـ)، وجوامع الكلم والحكم وعوالم العلم والأمم، موسوعة كبيرة مهمة تجمع بين دفتيها ألوان المعارف من التأريخ وعلوم الفلك وأحوال البلدان ووقائع الأيام والسنين وتراجم الرجال والعلماء و بعض العلوم الغريبة، إلَّا أنه اصابها حريق فلم يمكن الاستفادة منها خاصّة الاوراق الأخيرة، والجواهر المنتخبة في الأدعية المجربة، جمعت (سنة١٣٦٨ هـ)، والحجّة الكافية في تعيين الفرقة الناجية، مؤلف (سنة ١٣٦١هـ)، وحجية الكتاب، رسالة مختصرة في حجية ظواهر الكتاب، ألفها (سنة ١٣٥١هـ)، وحروف التهجي، كتاب أخلاقي رتبت موضوعاته على حسب الحروف و بالطريقة التي وردت في الأحاديث الشريفة، تمّ تأليفه (سنة ١٣٥٧هـ)، وحكومة الفكر الحر في مخاصمة الغنى والفقر، رسالة أدبية طريفة في مخاصمة الغنى و الفقر، ألفها (سنة ١٣٧٧هـ)، تمّ طبعه وحققه فضيلة الدكتور عليّ

الأعرجي(دام توفيقه)، وحلّ الأغلاق عن إخبار الطينة والميثاق، تمّ تأليفه (سنة ١٣٧٣هـ)، والخيرات الحسان فيما ورد من آي القرآن في فضل سادة بني عدنان، ألفه (سنة ١٣٤٩هـ)، والدرجات الرفيعة في فضل الشيعة، ألفت (سنة ١٣٧٣ هـ)، والدرة المضيئة في الرد على الشيخية، كتبها (سنة ١٣٢٧ هـ)، ودليل الركبان في أسماء القرى والأودية والمواضع والبلدان، ألفه (سنة ١٣٧٤ هـ)، وذخائر فصل القضا في فضائل المرتضى ع، شرح لقصائده الست الموسومة بـ (طلب الرضا في مدح عليّ المرتضى عليه السلام) تمّ شرحها (سنة ١٣٣٤ هـ)، و رشحات القدس في تحقيق معنى الوسوسة وحديث النفس ألفه(سنة ١٣٧٣هـ)، والزاد المدخر في شرح الباب الحادي عشر ألفه (سنة ١٣٣٦هـ)، والزهر الفائق في شرح مقدمة الحدائق، يقع في مجلدين، ألف المجلد الاوّل (سنة ١٣٣١هـ) والثاني (سنة ١٣٣٣هـ)، و زهرة المعالم في الأصول، منظومة في أصول الفقه في( ٩٦٠) بيتًا نظمها (سنة ١٣٢٩ هـ)، وسبيل الرشاد، كتاب مفصل في الأخلاق والمواعظ يقع في جزأين تمّ تأليفهما (سنة ١٣٣٠هـ)، سعادة الأنام في أدعية الساعات والأيام، ألفه (سنة ١٣٦٧هـ)، طبع في النّجف الأشرف (سنة ١٣٧٢ هـ)، و شرح الهداية، شرح مختصر لكتاب الهداية للصدوق ره، تمّ الشرح في (سنة ١٣٥٥ هـ)، وشفاء الصدور ووفاء المنذور، كتاب أخلاقي لطيف يقع في جزأين تمّ الجزء الاوّل (سنة ١٣٤٤هـ)، والثاني (سنة ١٣٥٠هـ)، وهو شرح لكتاب مرآة الكمال، و شفاء القلوب في تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن الذنوب، ألفه (سنة ١٣٢٧ هـ)، و صحيفة الامان من النيران في أحوال الإمام صاحب الزمان ع، تمّ تأليفه (سنة ١٣٦١هـ) تمّ تحقيقه من قبلي، والصراط المستقيم والنهج القويم، ألفه (سنة ١٣٧٦ هـ)، وطرائق الوصول إلى علم الأصول، كتاب في أصول الفقه بعنوان طريقة طريقة، تمّ تأليفه (سنة ١٣٤٠ هـ) تمّ تحقيقه من قبلي، وطلب الرضا في مدح عليّ المرتضى×، قصائد ستة في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ألفه (سنة ١٣٣٤هـ)، والعرى العاصمة في تفضيل الزهراء فاطمة، تاريخ مبسط عن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، وحققه الدكتور عليّ الأعرجي(دام توفيقه) وطبع في قمّ المقدسة ، ألفه (سنة ١٣٢٩ هـ)، وعقود الدّرر في شرح المعتبر، المعتبر كتاب فقهي جليل

للمحقق الحلي+ صاحب الشرائع، وهذا الشرح بدأ به المؤلف (سنة ١٣٤٤هـ)، والعوائد النحوية في شرح الألفية، ألفت (سنة ١٣١٩ هـ) تمّ تحقيقه من قبلي، والفاجعة الشجية في شرح المقبولة الحسينية، والمقبولة الحسينية قصيدة للشيخ هادي آل كاشف الغطاء+، وتم الشرح (سنة ١٣٧٥هـ)، طبع حققه فضيلة الدكتور علي الأعرجي (دام توفيقه)، وفوائد الأسفار في أسماء النباتات والأشجار ألفه(سنة ١٣٧٦هـ)، قاموس لغوي في النباتات ، قيد الشرح والتحقيق من قبلي، والقول الثابت للأمة في نفي سهو الأنبياء والأئمةﷺ، ألفه (سنة ١٣٧٢هـ)، و الكلمات الطيبات في شرح دعاء السمات، شرح مزجى مفصل على هذا الدعاء الشريف، فرغ من تأليفه (سنة ١٣٦١هـ)، تم تحقيقه من قبلي، والكنز المدخر في آداب المسافر والسفر، ألفه (سنة ١٣٣٣هـ)، والكوكب السائر في أسماء القبائل وأنساب العشائر، يذكر فيه أسماء القبائل والعشائر حسب المناطق، تمّ تأليفه (سنة١٣٧٤هـ)، اللآلي الباهرة في أحكام العترة الطاهرة، كتاب فقهي فتوائي في جزأين من كتاب، تمّ تأليفه (سنة ١٣٦٧هـ) ، اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب، شرح به كتاب (مجمع البحرين ومطلع النيران) تأليف العلامة الشيخ فخر الدين الطريحي ره، ويقع في (٣٣) مجلد وكان البدء بتأليف الجزء الاوّل (سنة ١٣٥٦هـ)، وانتهى من الجزء الثالث والثلاثون (سنة ١٣٨٠هـ)، وهو جهد علمي عظيم، ودائرة معارف إسلامية تعالج ما أمكن المؤلف معالجته من مختلف الفنون الإسلاميّة، وطبع منه الجزء الأوّل على نفقة الجدّ العلامة الشيخ جاسم الغرّاوي تحقيق سماحة السيّد احمد الحسينيّ الإشكوري (دام توفيقه)، واللمعات الغراوية في شرح القصيدة الشذراوية، وتمّ الشرح (سنة ١٣٢٢هـ)، المجالس السعيدة، ألفه( سنة ١٣٤٩هـ)، ومحاسن الكواعب، ديوان شعري يجمع ما نظمه المؤلف في مختلف المناسبات والأغراض، وهو يقع بجزأين مرتبا حسب الحروف الهجائية، وتمّ تأليف الجزء الأوّل (سنة١٣٣٥هـ)، والجزء الثاني (سنة ١٣٣٧هـ)، ومدر العبرات، يقع هذا الكتاب بجزأين هما: الجزء الأوّل: يتضمن تاريخ المعصومين الأربعة عشرﷺلكل معصوم فصل خاصّ به، وتمّ تأليفه( سنة١٣٧٦ هـ)، الجزء الثاني: قصائد في مدائح ومراثي الأئمةﷺ

وكلّها من شعر المؤلف نفسه، تمّ تحقيق الديوان من قبلي، والمسائل الدورقيّة، كتبت هذه الأجوبة (سنة١٣٣٧هـ)، ومعرفة الأحوال في علم الرجال، تمّ تأليفه (سنة ١٣٤٨هـ)، منادمة الإخوان، مجموعة مختارة من أشعار العرب القدامى والمحدثين، مرتبة على ترتيب الحروف، تمّ تأليفه (سنة١٣٢٨هـ)، وموهبة الرحمن في تفسير القران، الفه (سنة ١٣٤٩هـ) تمّ تحقيقه من قبلي، ونصيحة الضال، في ذكر إمامة أمير المؤمنين ع، تمّ تأليفه (سنة١٣٢٥هـ)، نفائس التذكرة في شرح التبصرة، شرح أستدلالي مفصل في عدّة أجزاء على كتاب التبصرة للعلامة الحلي ره، ونفي الريب في علم الأئمةﷺ بالغيب، تمّ تأليفه (سنة ١٣٧٠هـ)، والنور الوافي في تهجية أحاديث الكافي، فهرس قيم يجمع أحاديث الكافي على حسب الحروف، وضعه (سنة ١٣٥٤هـ)، النور المبين لمن عمي عن الحقّ المبين الحق اليقين في إمامة علي أمير المؤمنين ع، ردّ على كتاب (الفتح المبين) لأحمد زيني دحلان، وهو يقع في جزأين تمّ تأليفهما (سنة ١٣٥١هـ)، والورقة الصادحة في تفسير سورة الفاتحة، كتبه (سنة ١٣٣٢هـ)، ويذكر الجدّ العلامة الشيخ جاسم الغرّاوي ره: إنّ مجموعة من مؤلفات والده+ مفقودة بعد ما بيعت مكتبة والده في سوق الحرج في النّجف الأشرف من قبل الورثة واشتراها جميعها، وكان من المؤلفات المفقودة: النجم الثاقب في أنساب آل أبي طالب، وهدى الطالبين لمعرفة أنساب قبائل الطالبيين، ودرّة الغرّيين في ذكر قبائل الغرّاويين( وفقت لاحصل عليه واقوم بتحقيقه)، و السراج الوهاج في أثبات كيفية المعراج، ودعوة الحقّ في أن الرزق مقسوم من الحقّ، والأجوبة النّجفية على المسائل البصرية.

وفاته:

وافاه أجله المحتوم في صباح يوم الأثنين تاسع عشر من ربيع الأوّل (سنة ١٣٨٥ هـ) الموافق (١٩/ ٧/ ١٩٦٥ م) في مستشفى الكوفة، وقد حدثني نجله الجدّ الحاج عبد الأمير الغرّاوي ره، أنّ والدهُ قد أُصيب بجلطة منعته من الكلام لكنه كان واضع يدّه على صدره و يقول كلمات (السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته سادتنا أتزحمتوا صارت زحمة عليكم)، وقال: كنت واقفاً أنا وأخي الشيخ جاسم الغرّاوي ره وأخوتي الحاج باقر وجعفر ره

والشيخ محمّد عليّ الغرّاوي ره نمرض والدي ره وإذا بِه نطق كلام قال (السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوة ومعدن الرسالة والتنزيل السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، وصار ضياء عظيم في غرفة المستشفى لم أرى مثله في حياتي، وقد هرع الأطباء والممرضين والعاملين لمعرفة مصدر ذلك النور العجيب وإذا نجد أن الولد قد أثنى رجليه ورحل إلى لقاء ربِّه محبورًا تنتظره الدرجات الرفيعة في جنات الخلد إن شاء الله تعالى.

## المبحث الاول:

## تعريف الميثاق لغةً:

فقد عرفه الزبيدي ره قال: المِيثاقُ، و المَوْثِقُ، كمَجْلِس: العَهْدُ صارت الوَاوُ ياءً لانْكِسارِ ما قَبْلَها. قالَ اللَّه تَعالَى:" وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ " أَي: أَخَذَ العَهْدَ عليهم بأَنْ يُؤمِنوا بمُحمَّدٍ صلّى اللَّه عليه و سلّم، و أَخْذُ العَهْدِ بمَعْنَى الاستِحْلافِ.(الزبيدي، تاج العروس : ج١٣ / ٤٧٢).

أما تعريف الميثاق اصطلاحاً، فقد عرفه الراغب الاصفهاني ره قال : الْمِيثَاقُ: عقد مؤكّد بيمين و عهد، قال: "وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ" [آل عمران/ ٨١]، وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ [الأحزاب/ ٧]، وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً* [النساء/ ١٥٤] و الْمَوْثِقُ الاسم منه.(الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٥٣) .

## المبحث الثاني:

فيما ذكره العلامة الطباطبائي ره من المراد من معنى قوله تعالى: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» الخ الاية

إذ قال العلامة الطباطبائي في الميزان : ج٨ / ٣٠٦ : قوله تعالى: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا" أخذ الشيء من الشيء يوجب انفصال المأخوذ من المأخوذ منه و استقلاله دونه بنحو من الأنحاء، و هو يختلف باختلاف العنايات المتعلقة بها و الاعتبارات المأخوذة فيها كأخذ

اللقمة من الطعام و أخذ الجرعة من ماء القدح و هو نوع من الأخذ، و أخذ المال و الأثاث من زيد الغاصب أو الجواد أو البائع أو المعير و هو نوع آخر، أو أنواع مختلفة أخرى، و كأخذ العلم من العالم و أخذ الأهبة من المجلس و أخذ الحظ من لقاء الصديق و هو نوع و أخذ الولد من والده للتربية و هو نوع إلى غير ذلك.

فمجرد ذكر الأخذ من الشيء لا يوضح نوعه إلا ببيان زائد، و لذلك أضاف الله سبحانه إلى قوله: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ" الدال على تفريقهم و تفصيل بعضهم من بعض، قوله: "مِنْ ظُهُورِهِمْ"، ليدل على نوع الفصل و الأخذ، و هو أخذ بعض المادة منها بحيث لا تنقص المادة المأخوذ منها بحسب صورتها و لا تنقلب عن تمامها و استقلالها ثم تكميل الجزء المأخوذ شيئا تاما مستقلا من نوع المأخوذ منه فيؤخذ الولد من ظهر من يلده و يولده، و قد كان جزء ثم يجعل بعد الأخذ و الفصل إنسانا تاما مستقلا من والديه بعد ما كان جزء منهما.

ثم يؤخذ من ظهر هذا المأخوذ مأخوذ آخر و على هذه الوتيرة حتى يتم الأخذ و ينفصل كل جزء عما كان جزء منه، و يتفرق الأناسي و ينتشر الأفراد و قد استقل كل منهم عمن سواه و يكون لكل واحد منهم نفس مستقلة لها ما لها و عليها ما عليها، فهذا مفاد قوله: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ"، و لو قال: أخذ ربك من بني آدم ذريتهم أو نشرهم و نحو ذلك بقي المعنى على إبهامه. انتهى كلامه رفع الله في جنان الخلد مقامه.

أولا: في بيان مراد العلامة الطباطبائي ره، في معنى قوله تعالى: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ" الخ الآية

وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وجدت أن العلامة الطباطبائي أحسن في تفريقه بين أنواع الأخذ، إذ جعل قوله (من ظهورهم) بياناً لنوع خاص من الأخذ هو الأخذ التولدي التناسلي، وهذا ينسجم مع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، فالأخذ هنا ليس أخذ مال ولا أخذ علم، بل أخذ نَسَلي تتوالد فيه

الذرية من ظهور الآباء إلى أصلاب الأبناء، كما قال: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ﴾، إذ قوله سُبحانه (من ظهورهم) يذكرنا بقوله تعالى عن عيسى ع: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، فهناك نفخ من روح الله، وهنا أخذ من الظهر، والكل إشارة إلى نشأة إنسانية من أصل إنساني، وإذا كان الأخذ من الظهر يوجب انفصال الجزء ثم تكميله إلى إنسان تام، فهذا هو المشاهد في خلق الإنسان من نطفة ثم علقة ثم مضغة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، فالبناء التدريجي الذي ذكره العلامة في تفسير الأخذ هو عين ما دل عليه القرآن من مراحل الخلق، وإذا ثبت أن الأخذ في الآية هو الأخذ التناسلي المتصل بظهور الآباء، انتفى معنى الأخذ في عالم سابق غير هذه النشأة، لأن التوالد والتناسل إنّما يكون في الدنيا لا قبلها، والآية إذا حملت على هذا المعنى كانت متسقة مع قوله في ذيلها ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾، فإن الإشراك إنّما وقع من الآباء للأبناء في هذه النشأة، والله العالم.

فيما ذكره العلامة الغراوي ره من المراد من معنى قوله تعالى: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ" الخ الاية

إذ ذكر العلامة الشيخ محمّد رضا الغراوي ره في (كتاب حل الاغلاق عن اخبار الطينة والميثاق)، إذ قال: في بيان وجه الحكمة من أخذ الميثاق في الذر ليزدادوا يقينا ومعرفة بأنّه بكل شيء عليم ولا يخفى عليه خافية من امور خلقه لهم وافعالهم واحوالهم وجميع شؤونهم واطوارهم دوام ملكه وسلطانه وإرادته تعالى إظهار فضل محمّد وآل محمّد ع، ونور جلالتهم عنده وقرب منزلتهم منه وعظم قدرهم ومحلهم لديه لملائكته ولآدم ولجميع خلقه، ولو في ذلك الحال والوقت ليعرفوا شأنهم وأمورهم وحالهم وأنّ من أحبّهم لقد أحب الله ومن ابغضهم فقد ابغضهم ومن اطاعهم فقد اطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله والغاية من هذا ترغيب خلقه وآدم وملائكته في تنشق ريح رضاهم ومحبّهم ومودّتهم حتى يفوزوا بما

اعده لهم وتحذيرهم عن الاعراض عنهم والمخالفة لهم حتى لا يهووا في هوة العذاب الخالد الذي عدة لمن كان كذلك.

ولمزيد تعبدهم بما يُريده واراده منه من العبادة والطاعة التي لا يستحق سواه، وهذا الفعل لهذه الدواعي والغايات او الوجوه يسمجها العقل ولا ينفر منها، بل لا يتخيل فيها العبثية منه سُبحانه، بل لا يتصور منه تعالى الالجاء والاجبار بقوله لهم في عالم الذر او علام الاظلة هؤلاء إلى الجنة ولا ابالي وهؤلاء إلى النار ولا ابالي ولي في التالين البداء، لأنّ قصارى ما يستفاد منه إنّي خلقتُ خلقًا أعلم مصيرهم إلى الجنة من حيث طاعتهم ما اريد منهم من التكاليف وخلقت خلقًا أعلم مصيرهم إلى النار من حيث مخالفتهم ومعصيتهم لما أُريد منهم من التكليف لا إنّي الجأ فيهم واجبرهم على الطاعة والمعصية ولو كان كذلك لما صرح بالبداء له فيهم ولما بعث لهم الانبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب ليعلموهم ويرشدوهم إلى ما يقربهم منه زلفى، ولينهوهم ويحذروهم عمّا يبعدهم عن الارتواء من مناهل رحمته والدخول في اودية رضوانه وغفرانه، ومن المقطوع به أنّ المجبر لهم لا يقيض لهم ما قلناه.

ثانيا: في بيان مراد الشيخ الغراوي ره، في معنى قوله تعالى: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ" الخ الآية

إذ يتبنى العلامة الشيخ محمد رضا الغراوي ره مما تقدم تفسيراً مغايراً يقوم على أساس روائي صرف، فهو يرى أن الأخذ في الآية هو أخذ حقيقي وقع في عالم سابق على هذه النشأة، يعرف بعالم الذر أو عالم الأظلة، حيث أخرج الله ذرية بني آدم من صلب أبيهم آدم عليه السلام كالذر، ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم. لكن العلامة الغراوي ره لا يقف عند هذا الحد، بل يوسع مفهوم الميثاق ليشمل أكثر من مجرد الإقرار بالربوبية، فيرى أن الحكمة من هذا الأخذ والإشهاد تتجلى في أمور متعددة: أولها ليزداد الخلق يقيناً ومعرفة بأن الله بكل شيء عليم، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم. وثانيها إظهار فضل محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ونور جلالتهم وقرب منزلتهم من الله لجميع خلقه، بما فيهم الملائكة وآدم ع، وذلك ليعرفوا أن من أحب آل محمد صلى الله عليه وآله فقد أحب الله، ومن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن أبغضهم

فقد أبغض الله، ومن عصاهم فقد عصى الله. وثالثها ترغيب الخلق في محبّة آل محمدﷺ ومودّتهم ليفوزوا بما أعد الله لهم، وتحذيرهم من الإعراض عنهم لئلا يهووا في عذاب خالد. وينفي العلامة الغراوي ره عن هذا الفعل أي عبثية أو جبر أو إلجاء، مؤكداً أن الله لم يقل لهم في عالم الذر: (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي)، بل غاية ما يستفاد من أخذ الميثاق أن الله علم مصيرهم من حيث طاعتهم أو معصيتهم للتكاليف التي سيكلفهم بها، ثم أظهر لهم فضل النبي وآله لتكون الحجة أتم والسبيل أوضح.

ثالثا: الموازنة بين التفسيرين:

عند مقارنة التفسيرين، يتبين أن الخلاف بين العلامة الطباطبائي ره، و العلامة الغراوي ره ليس خلافاً في لفظة (الأخذ) فحسب بل هو خلاف منهجي وموضوعي يمتد إلى أصول التفسير ذاتها، فالطباطبائي يلتزم في تفسيره بمبدأ (تفسير القرآن بالقرآن)، فلا يتجاوز النص القرآني إلى ما لا يشهد له النص صراحة، ولذلك اقتصر في تفسير الآية على إثبات الميثاق الفطري والتكويني الذي يجري في هذه النشأة الدنيوية. أما العلامة الغراوي ره فيعتمد على الروايات الواردة عن أهل البيتﷺكأساس لتفسيره، متجاوزاً ظاهر الآية إلى بطون الأحاديث التي تملأ فجوات لم يتعرض لها القرآن تفصيلاً، ومن هنا كان تفسير الأخذ عند الطباطبائي أخذ تولدي تناسلي يقع في الدنيا، وعند الغراوي أخذ إخراجي إشهادي وقع في عالم سابق يسمى عالم الذر، وأضاف إليه البعد الولائي الذي لم يرد في ظاهر الآية حول فضل محمد وآل محمد ﷺ، ليس إنكاراً لها بل لأنه يرى أن الآية لم تذكر ذلك.

رابعا: نقطة الاتفاق بين المفسرين:

يجمع العلامة الطباطبائي ره، والعلامة الغراوي ره على نفي الجبرعن الله تعالى، وإثبات الاختيار للعباد، وتأكيد معنى البداء الذي هو من عقائد الإمامية، فالطباطبائي في تفسيره يوضح أن أخذ الميثاق في الدنيا لا يعني إجبار الناس على الإيمان، بل هو إقامة حجّة وإتمام بيان وتذكير بما جُبلت عليه الفطرة. والغراوي في كلامه صريح في نفي الإلجاء والإجبار عن الله، فيقول: (لا يتصور منه تعالى الإلجاء والإجبار بقوله لهم في عالم الذر: هؤلاء إلى الجنة

ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي)، ثم يؤكد أن الله بعث الرسل وأنزل الكتب ليعلموا الناس ويرشدوهم، ولو كان مجبراً لهم لما فعل ذلك، وهذه النقطة تعد ركيزة مشتركة بين الرجلين، وتظهر أن خلافهما في زمان ومكان الميثاق لم يجرّهما إلى القول بالجبر أو التفويض الباطل.

إذ يتضح مما تقدم أن مفهوم (الأخذ) في آية الميثاق تناوله العلامة الطباطبائي ره، و العلامة محمد رضا الغراوي ره من زاويتين مختلفتين: الأولى تفسيرية قرآنية خالصة تحمل الأخذ على نظام التوالد والتناسل في هذه النشأة الدنيوية مع إثبات الفطرة والإدراك الباطني للربوبية، والثانية تفسيرية روائية تحمل الأخذ على إخراج حقيقي في عالم الذر وإشهاد فعلي يتجاوز الإقرار بالربوبية إلى الإقرار بفضل النبي وآله عليهم السلام. ولا يمكن الجمع بين الرأيين إلا بالقول بأن للآية ظاهراً وباطناً، وظاهرها ما ذهب إليه الطباطبائي من أخذ تكويني فطري، وباطنها ما أشارت إليه الروايات من ميثاق سابق على الدنيا تتجلى فيه منزلة أهل البيت ع، والأهم من ذلك أن الرجلين متفقان على نفي الجبر عن الله وإثبات اختيار العبد، وهذا يصلح أساساً لأي تفسير صحيح للآية، سواء أخذنا بالمعنى الظاهري أو بالمعنى الباطني، والله أعلم بحقيقة مراده، وكل مجتهد مصيب بحسب منهجه وأدلته.

## المبحث الثالث:

مفهوم الإشهاد في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بين تفسير الميزان وكتاب حل الإغلاق عن أخبار الطينة والميثاق

الحمد لله الذي أشهد خلقه على أنفسهم قبل أن يشهدوا عليه، وأقام الحجة بألسنتهم قبل أن تنطق بها ألسنتهم، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين الذين جعلهم الله أركان الميثاق وأعلام الهدى.

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وإذا كان المبحث الأول قد تناول لفظ (الأخذ) وما يحمله

من معانٍ تتصل بكيفية استخراج الذرية من ظهور بني آدم، فإن هذا المبحث يتناول الركن الثاني من أركان الآية وهو (الإشهاد على النفس) الذي يأتي في صيغة استفهامية تقريرية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ثم الإقرار الجوابي: ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾.

و(الإشهاد)في اللغة (الشهادة): الإخبار بصحّة الشيء عن مُشاهدةٍ و عِيان. يقال: (شَهِدَ) عند الحاكم لفلان على فلان بكذا (شهادةً) فهو (شاهِدٌ) و هم (شُهودٌ) و (أشْهادٌ) و هو (شَهيدٌ) و هم (شُهَداء). و أما (الشَهيد)، بمعنى المُسْتَشْهَد المقتول، فقيل: لأنه مشهودٌ له بالجنة، أو لأنه حيٌّ عند اللهّ حاضرٌ.[ المغرب :ج١ / ٤٥٩]. وقد ورد لفظ الإشهاد في القرآن في مواضع متعددة تدل على إقامة الحجة وإتمام البيان، قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهذه الآيات تدل على أن الإشهاد وسيلة لإثبات الحقوق وقطع الخصومات في الدنيا. أما الإشهاد في آية الميثاق فهو إشهاد إلهي من نوع خاص، لا يحتاج إلى شاهد خارجي، بل جعل الله الإنسان نفسه شاهداً على نفسه، فقال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾، أي جعل نفوسهم شاهدة عليهم بما أقرت به.

وتأتي صيغة الاستفهام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ على سبيل التقرير والإثبات وليس على سبيل الاستفهام الحقيقي الذي يُطلب به الجهل، لأن الله لا يجهل ولا يستخبر، وهذا الأسلوب القرآني مألوف في خطاب الله لخلقه، قال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، فهو استفهام للتقرير والتنبيه لا للاستخبار، والجواب ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ يثبت أن هناك قائلاً ومقولاً له، وأن خطاباً قد وقع وأن جواباً قد صدر، وأي تأويل يحمل (بلى شهدنا)على أنه مجرد لسان حال أو إدراك فطري يحتاج إلى دليل يخرج عن ظاهر اللفظ.

وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذا الإشهاد ووقته وكيفيته على قولين رئيسيين: قول يرى أن الإشهاد وقع في هذه النشأة الدنيوية وهو إشهاد فطري تكويني لا يحتاج إلى زمان خاص، وقول يرى أن الإشهاد وقع في عالم سابق على الدنيا يعرف بعالم الذر أو عالم الأظلة،

وكان خطاباً حقيقياً وإشهاداً فعلياً،وفي هذا المبحث سنعرض لموقف العلامة الطباطبائي في (تفسيرالميزان) الذي يميل إلى القول الأول مع بعض التفصيل، وموقف العلامة الشيخ محمد رضا الغراوي في كتاب (حل الإغلاق عن أخبار الطينة والميثاق) الذي يتبنى القول الثاني ويوسع دائرته ليشمل الإشهاد بالولاية لأهل البيت ع، ثم نعقد موازنة بين الرأيين لنتبين أوجه الاتفاق والاختلاف.

فيما ذكره العلامة الطباطبائي ره في معنى (الاشهاد).

إذ قال العلامة الطباطبائي في الميزان :ج٨ / ٣٠٦ : قوله تعالى : "وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ"، ينبئ عن فعل آخر إلهي تعلق بهم بعد ما أخذ بعضهم من بعض و فصل بين كل واحد منهم و غيره و هو إشهادهم على أنفسهم، والإشهاد على الشيء هو إحضار الشاهد عنده و إراءته حقيقته ليتحمله علما تحملا شهوديا فإشهادهم على أنفسهم هو إراءتهم حقيقة أنفسهم ليتحملوا ما أريد تحملهم من أمرها ثم يؤدوا ما تحملوه إذا سئلوا.

و للنفس في كل ذي نفس جهات من التعلق و الارتباط بغيرها يمكن أن يستشهد الإنسان على بعضها دون بعض غير أن قوله: "أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ" يوضح ما أشهدوا لأجله و أريد شهادتهم عليه، و هو أن يشهدوا ربوبيته سبحانه لهم فيؤدوها عند المسألة.

فالإنسان و إن بلغ من الكبر و الخيلاء ما بلغ، و غرته مساعدة الأسباب ما غرته و استهوته لا يسعه أن ينكر أنه لا يملك وجود نفسه و لا يستقل بتدبير أمره، و لو ملك نفسه لوقاها مما يكرهه من الموت و سائر آلام الحياة و مصائبها، و لو استقل بتدبير أمره لم يفتقر إلى الخضوع قبال الأسباب الكونية، و الوسائل التي يرى لنفسه أنه يسودها و يحكم فيها ثم هي كالإنسان في الحاجة إلى ما وراءها، و الانقياد إلى حاكم غائب عنها يحكم فيها لها أو عليها، و ليس إلى الإنسان أن يسد خلتها و يرفع حاجتها.

فالحاجة إلى ربّ- مالك مدبر- حقيقة الإنسان، و الفقر مكتوب على نفسه، و الضعف مطبوع على ناصيته، لا يخفى ذلك على إنسان له أدنى الشعور الإنساني، و العالم و الجاهل و الصغير و الكبير و الشريف و الوضيع في ذلك سواء.

فالإنسان في أي منزل من منازل الإنسانية نزل يشاهد من نفسه أن له ربا يملكه و يدبر أمره، و كيف لا يشاهد ربه و هو يشاهد حاجته الذاتية؟ و كيف يتصور وقوع الشعور بالحاجة من غير شعور بالذي يحتاج إليه؟ فقوله: "أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ" بيان ما أشهد عليه، و قوله: "قالُوا بَلى شَهِدْنا" اعتراف منهم بوقوع الشهادة و ما شهدوه، و لذا قيل: إن الآية تشير إلى ما يشاهده الإنسان في حياته الدنيا أنه محتاج في جميع جهات حياته من وجوده و ما يتعلق به وجوده من اللوازم و الأحكام، و معنى الآية أنا خلقنا بني آدم في الأرض و فرقناهم و ميزنا بعضهم من بعض بالتناسل و التوالد، و أوفقناهم على احتياجهم و مربوبيتهم لنا فاعترفوا بذلك قائلين: بلى شهدنا أنك ربنا.

و على هذا يكون قولهم: "بَلى شَهِدْنا" من قبيل القول بلسان الحال أو إسناد اللازم القول إلى القائل بالملزوم حيث اعترفوا بحاجاتهم و لزمه الاعتراف بمن يحتاجون إليه، و الفرق بين لسان الحال، و القول بلازم القول: أن الأول انكشاف المعنى عن الشيء لدلالة صفة من صفاته و حال من أحواله عليه سواء شعر به أم لا كما تفصح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها، و كيف لعب الدهر بهم؟ و عدت عادية الأيام عليهم؟

فأسكنت أجراسهم و أخمدت أنفاسهم، و كما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره و مسكنته و سوء حاله. و الثاني انكشاف المعنى عن القائل لقوله بما يستلزمه أو تكلمه بما يدل عليه بالالتزام.

فعلى أحد هذين النوعين من القول أعني القول بلسان الحال و القول بالاستلزام يحمل اعترافهم المحكي بقوله تعالى: "قالُوا بَلى شَهِدْنا"، و الأول أقرب و أنسب فإنه لا يكتفي في مقام الشهادة إلا بالصريح منها المدلول عليه بالمطابقة دون الالتزام.

و من المعلوم أن هذه الشهادة على أي نحو تحققت فهي من سنخ الاستشهاد المذكور في قوله: "أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ"، فالظاهر أنه قد استوفى الجواب بعين اللسان الذي سألهم به، و لذلك كان هناك نحو ثالث يمكن أن يحمل عليه هذه المساءلة و المجاوبة فإن الكلام الإلهي يكشف به عن المقاصد الإلهية بالفعل، و الإيجاد كلام حقيقي- و إن كان بنحو التحليل-

كما تقدم مرارا في مباحثنا السابقة فليكن هنا قوله: "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"، و قولهم: "بَلى شَهِدْنا" من ذاك القبيل. انتهى كلامه اعلى الله مقامه.

أولا: في بيان وتحليل كلام العلامة الطباطبائي ره:

إذ يستهل العلامة الطباطبائي ره كلامه بتحديد معنى (الإشهاد) لغةً واصطلاحاً، فيرى أنه إحضار الشاهد وإراءته حقيقة الشيء ليتحمله علماً شهودياً، وهذا التعريف دقيق، إذ يجعل الإشهاد علماً حضورياً لا تمثله الحكايات والصور الذهنية، ثم ينتقل إلى تطبيقه على النفس البشرية فيقول: إن الله أشهد الإنسان على نفسه، أي أراه حقيقة نفسه ليتحمل ما سيسأل عنه يوم القيامة، وهذا المعنى يشهد له قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، فالإنسان نفسه شاهد على أفعاله وكيانه، بصير بما أسر وأعلن.

ثم يوضح العلامة ره بأن قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يبين ما أشهدوا عليه بالذات، وهو الإقرار بالربوبية. ويدلل على أن الإنسان بفطرته يشاهد حاجته إلى ربّ يدبره، وأن هذه المشاهدة تحصل لأي إنسان بلغ من الكبر أو الجهل ما بلغ، ويستشهد بقوله: (الإنسان و إن بلغ من الكبر و الخيلاء ما بلغ لا يسعه أن ينكر أنه لا يملك وجود نفسه). وهذا المعنى تلتقي معه آيات كثيرة تخبرعن فطرية التوحيد في النفوس، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، فالفطرة هي الأصل الإلهي الذي جبلت عليه النفوس، وهي شاهدة على الربوبية دون حاجة إلى تعلم. وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فالإبصار في الآية إشارة إلى أن أعظم الآيات الدالة على وجود الله وربوبيته هي النفس البشرية نفسها، فكيف لا يرى الإنسان ربّه وهو يرى نفسه مفتقرة إليه في كل آن؟ قال تعالى حاكياً عن لسان الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، والتوجه بالفطرة هو عين ما يكشف عنه المشاهدة الباطنية.

ثم ينتقل العلامة ره إلى معالجة إشكال في غاية الدقة: كيف يكون قولهم (بلى شهدنا) مع أنا لا نتذكر أننا نطقنا بهذه الكلمات؟ فيجيب بأن القول يمكن أن يكون على أحد ثلاثة

أنحاء:

الأول: قول بلسان الحال، وهو انكشاف المعنى عن الشيء بدلالة صفاته وأحواله، كما تفصح آثار الديار الخربة عن حال سكانها.

والثاني: قول بالاستلزام، وهو أن يتكلم الإنسان بما يستلزم معنى آخر فيلتزم به.

والثالث: أن يكون كلاماً حقيقياً من سنخ الكلام الإلهي الذي يكشف عن المقاصد بإيجاد حقيقي. ويميل العلامة ره إلى أن الأنسب في المقام هو قولهم بلسان الحال، لأن الإشهاد الذي هو إراءة الحقيقة لا يكتفي إلا بالصريح الدال بالمطابقة، ولسان الحال أصدق دلالة من لسان المقال في أمثال هذه المواقف التي تعلو عن حصرها الألفاظ. وهذا المعنى يشهد له قوله تعالى عن حال الكفار يوم القيامة: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، فاستفتاحهم بالحال كان أبلغ من أي قول بمقال، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، فإن شهادة الجوارح إنما تكون بلسان الحال لا المقال، فهي تقول بفعلها لا بلفظها.

والخلاصة أن العلامة الطباطبائي ره يذهب في تفسير الإشهاد إلى أنه حقيقة فطرية كامنة في النفس، يشاهد فيها الإنسان افتقاره الذاتي إلى ربه، وهذا الإشهاد تكويني لا يحتاج إلى عالم سابق، والتعبير بالماضي في الآية جاء باعتبار أن هذا الإشهاد ثابت من أول وجود الإنسان أو لأنه مُقدر بمنزلة الواقع لا محالة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٨٣]، والميثاق أخذ في الدنيا حين نزول التوراة، وعليه فقولهم (بلى شهدنا) هو اعتراف بلسان الحال بما جبلت عليه الفطرة من الإقرار بالربوبية، وهذا أبلغ من أي لسان مقال، لأن الفطرة أصدق من النطق وأعمق من اللفظ، والله أعلم بحقيقة مراده.

فيما ذكره الشيخ الغراوي ره في معنى الاشهاد والنطق به

قال الشيخ محمّد رضا الغراوي ره في (كتاب حل الاغلاق عن اخبار الطينة والميثاق) ص ٦٧: واما السؤال عنهم كيف اجابوا باللسان ام بالقلب، وكيف يتصور لهم الجارحة في

الذر، فقد مرّ الكلام فيه ولا نعيده وماذكرناه فيه عند التأمل صيانة القران المجيد والاخبار الشريفة عن التعارض الموجب للتساقط مهما أمكن.

واما إذا قلنا بأن آية: "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ "، الآية كما قال بعض قد صحت الرواية عن النبي‘، وتكاثرت وتناصرت في تفسيرها بخروج الذر في عالم الذر عند أخذ الميثاق عن ظهر آدم ﷺ، فينبغي عدم الاخذ بالاخبار المعارضة لها لكونها حينئذ مخالفة للقرآن وما خالف القرآن لا يؤخذ به.

والقول كما مرّ بأنّ ظاهر القرآن يأتي ذلك إذ لم يقل فيه من ظهره ولا من ذريته.

يدفعه أنّ من أنزل الله عليه القرآن وحملة علمه من بعده فسروه بذلك وقد ثبت أنّه‘، لا ينطق عن الهوى فلو لم يكن المراد به ظهر آدم لما فسره‘ بذلك وكذلك الأئمّة المعصومين ﷺ من آله تبعوه على ذلك التفسير وإنّما قال سُبحانه: "مِنْ ظُهُورِهِمْ"، دون ظهره ﷺ للاكتفاء به على الدلالة انّ المراد به هو ظهر آدم ع، لأنّ ظهور بني آدم لم تكن إلا من ظهر آدم قطعًا إذ كينونة ظهره ع، هو السبب الوحيد في كينوية ظهور اولاده وذريتهم كما ذكر هذا تعالى في جملة مواضع من كتابه الشريف، ومنها قوله:" الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً"،وكأنه من قبيل اطلاق المسبب وارادة السبب ويكون المعنى: واذكر يا محمّد إذ أخرج ربّك من ظهر آدم ذريته ومن ظهور بني آدم ذريتهم فأخذ عليهم الميثاق "وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى"، إلى آخر الآية، وهذا وإن كان وجهًا إلا أنّ التمسك والاخذ بظاهر الآية كما تقدم اوجه منه هذا منتهى الكلام في تنقيح المقام وما امكن من رفع غواشي الابهام عن وجه المرام ببركة محمّد وآله سادة الانام

اولاً: في بيان وتحليل كلام الشيخ محمد رضا الغراوي ره في تفسير الإشهاد والنطق

إذ يبدأ الشيخ الغراوي ره كلامه بمعالجة إشكال أساسي: كيف أجاب بنو آدم في عالم الذر؟ أ باللسان أم بالقلب؟ وكيف يتصور وجود جارحة ناطقة في ذلك العالم؟ ولكنه لا يطيل في هذه المسألة، مكتفياً بالإشارة إلى أنه سبق أن أجاب عنها، وأن المقصود هو صيانة القرآن والأخبار عن التعارض الموجب للتساقط ما أمكن.

ثم ينتقل إلى أصل منهجه في التفسير وهو تقديم الروايات المتواترة على غيرها، فيقرر قاعدة مهمة قد صحّت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وتكاثرت وتناصرت في تفسير آية الميثاق بخروج الذر في عالم الذر عند أخذ الميثاق عن ظهر آدم ع، فحينئذ لا يجوز الأخذ بالأخبار المعارضة لها، لأنها تكون مخالفة للقرآن، وما خالف القرآن لا يؤخذ به.

ثم يتعرض للإشكال الذي أثاره العلامة الطباطبائي سابقاً، وهو أن القرآن يقول: ﴿مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل (من ظهره) ولا (من ذريته)، فكيف يفهم منه أن المراد هو ظهر آدم؟ ويجيب الغراوي بأن من أنزل الله عليه القرآن وحملة علمه من بعده فسروه بذلك، والنبي لا ينطق عن الهوى، فلو لم يكن المراد ظهر آدم لما فسره به، وكذلك الأئمة المعصومون من آله ﷺ تبعوه على ذلك التفسير، وأما قوله تعالى ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ دون (ظهره)، فلكون ظهور بني آدم كلها إنما تنتهي إلى ظهر آدم قطعاً، إذ كينونة ظهره هي السبب الوحيد في كينونة ظهور أولاده وذريته. ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، فكما أن قوله (من نفس واحدة) يراد به آدم مع أن السياق يشير إلى الجنس البشري كله، فكذلك قوله (من ظهورهم) يراد به ظهر آدم، وهو من قبيل إطلاق المسبب وإرادة السبب، فيكون المعنى: أخرج ربك من ظهر آدم ذريته، ومن ظهور بني آدم ذريتهم، فأخذ عليهم الميثاق، وهذا وإن كان وجهاً إلا أن التمسك بظاهر الآية كما تقدم في كلام العلامة الطباطبائي – أي الأخذ بالمعنى التولدي التناسلي – أرجح منه عند الغراوي نفسه.

ثانيا: الموازنة بين تفسير العلامة الطباطبائي ره والشيخ الغراوي ره في الإشهاد والنطق

بعد تحليل كلا النصين، يتبين أن الفرق بين الرجلين في هذه المسألة يتلخص في أربع نقاط رئيسية:

الأولى: كيفية الإشهاد فالطباطبائي يرى أن الإشهاد كان في هذه النشأة الدنيوية، وهو إشهاد فطري تكويني بلسان الحال، حيث يشاهد الإنسان حاجته إلى ربّه من خلال تأمله في نفسه. والغراوي يرى أن الإشهاد كان في عالم الذر السابق على الدنيا، وكان إشهاداً حقيقياً

بلسان المقال، بدليل الروايات المتواترة.

الثانية: كيفية النطق الطباطبائي يفسر قولهم (بلى شهدنا) على أنّه من قبيل لسان الحال أو القول بالاستلزام، فلا يحتاج إلى جارحة ناطقة في عالم غير مادي. والغراوي يقر بأن ثمة إشكالاً في كيفية الجارحة في الذر، ولكنه يرجح القول بالروايات التي تثبت النطق الحقيقي، ولا يرى في ذلك محذوراً يستدعي طرحها.

الثالثة: الاستدلال بظاهر القرآن الطباطبائي يتمسك بظاهر الآية: (من ظهورهم) فيحملها على أن الأخذ من ظهور كل إنسان لذريته في نظام التوالد والتناسل. والغراوي يحملها على أن المراد هو ظهر آدم، مستدلاً على ذلك بقرائن من الروايات وبالآية: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

الرابعة: منهج التعامل مع الروايات الطباطبائي يجعل القرآن حاكماً على الروايات، فما وافق القرآن قبل وما خالفه رد، ولا يدخل في تفسير الآية ما لم يشهد له النص القرآني صراحة. والغراوي يجعل الروايات المتواترة هي المفسرة للقرآن، ويرى أن تقديم ظاهر الآية على تلك الروايات غير جائز.

ثالثا: التقريب بين الرأين:

ومع هذا الاختلاف يمكن التقريب بين التفسيرين من عدة وجوه:

أولاً: أن كلا المفسرين متفق على أن الله أقام الحجّة على عباده بالإشهاد على النفس، وأن الغاية من هذا الإشهاد هي قطع حجتهم يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. فالخلاف ليس في الغاية بل في الوسيلة والكيفية.

ثانياً: أن تفسير الطباطبائي بالإشهاد الفطري التكويني لا ينفي أن يكون هناك إشهاد في عالم الذر كما تقول الروايات، إذ يمكن أن يكون الإشهاد الفطري هو الأثر الباقي من ذلك الميثاق الأول في أعماق النفس الإنسانية. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، فالفطرة هي ذلك الإرث

الباطني للميثاق الذي لا تزول آثاره وإن نسي التفصيل، وهذه إشارة لطيفة إلى أن كلا القولين يمكن أن يتضافرا ويتكاملا: فالميثاق وقع فعلاً في عالم الذر، وأثره هو تلك الفطرة التي يشهد بها الإنسان على نفسه في الدنيا.

ثالثاً: أن كلا المفسرين متفق على نفي الجبر وإثبات الاختيار، وإن اختلفت العبارة. فالطباطبائي يصر على أن الإشهاد الفطري لا يعني إجباراً على الإيمان، بل هو إقامة حجّة وبيان سبيل. والغراوي يصرح بأن الله لم يقل لهم: (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي)، وإنّما أظهر لهم فضل النبي وآله وسبل الطاعة والمعصية ليتخذوا لأنفسهم طريقاً.

رابعاً: أنه يمكن حمل قول الغراوي بالنطق الحقيقي على نطق روحاني لا يحتاج إلى جارحة مادية، والعقل يقبل وجود إدراك وخطاب في عالم الأرواح من غير حاجة إلى لسان وجارحة، بدليل أن الملائكة عقلاء ناطقون وهم أرواح مجردة. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، والنداء في الآخرة يكون مع الأجساد، وقياساً عليه يمكن تصور النداء في عالم الذر.

إذاً، الخلاف بين الطباطبائي والغراوي في تفسير الإشهاد والنطق هو خلاف في المستوى لا في الجوهر فالطباطبائي يتحدث عن المستوى الفطري المشهود في هذه النشأة الدنيوية، والغراوي يتحدث عن المستوى الأصلي الذي وقع في عالم الذر وبقيت آثاره في الفطرة. وكأن كلا المفسرين يصف جانبا من حقيقة واحدة متعددة الطبقات، فالآية تحتمل المعنيين وتشير إليهما معاً، كما نبه إلى ذلك من قال بأن للآية ظاهراً وباطناً، وظاهرها ما ذكره الطباطبائي من الإشهاد الفطري التكويني، وباطنها ما أشارت إليه الروايات وأكده الغراوي من الميثاق الأصلي في عالم الذر، والله أعلم بحقيقة مراده، ومنا أن نسلم لكل مجتهد بمنهجه ما دام لم يخرج عن أصول الدين وقواعده المستقرة.

## المبحث الرابع:

## تعريف النسيان لغةً واصطلاحًا:

النسيان لغةً: نَسِيتُ الشيءَ نِسْيانا و أنْسَانيه كذا و تَناسيْتُ طلبتُ النِّسْيانَ و أظهرتُه- و النّسْيُ الشيءُ المَنْسِيُّ و النَّسِيُّ- الكثيرُ النِّسْيان[ المخصص :ج١٣ / ٧٣].

وأما تعريفه اصطلاحًا: النّسيان:[في الانكليزية]amnesia، Forgetting ، [في الفرنسية]amnesie، Oubli.

بالكسر و سكون السين هو عدم ما للصورة الحاصلة عند العقل من شأنه ملاحظة في الجملة أعمّ من أن يكون بحيث يتمكّن من ملاحظتها أيّ وقت شاء و يسمّى ذهولا أو سهوا، أو يكون بحيث لا يتمكّن من ملاحظتها إلّا بعد تجشّم كسب جديد و هذا هو النّسيان في عرف الحكماء كذا في التلويح، و قد سبق مثل هذا في لفظ السّهو أيضا. و في شرح المواقف في مبحث الجهل و يقرب من الجهل البسيط السهو و كأنّه جهل بسيط سببه عدم استثبات التصوّر أي العلم تصوّريا كان أو تصديقيا، فإنّه إذا لم يتقرّر كان في معرض الزوال فيثبت مرة و يزول أخرى و يثبت بدله تصوّر آخر فيشتبه أحدهما بالآخر اشتباها غير مستقر، حتى إذا نبّه السّاهي أدنى تنبيه تنبّه و عاد إلى التصوّر الأول، و كذا الغفلة يقرب منه، و يفهم منه عدم التصوّر مع وجود ما يقتضيه، و كذا الذهول، قيل سببه عدم استثبات التصوّر حيرة و دهشا. قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ فهو قسم من السّهو و الجهل البسيط بعد العلم يسمّى نسيانا.

و قد فرّق بين السّهو و النّسيان بأنّ الأول زوال الصورة عن المدركة مع بقائها في الحافظة، و الثاني زوالها عنهما معا فيحتاج حينئذ إلى سبب جديد. و قال الآمدي: إنّ الغفلة و الذهول و النّسيان عبارات مختلفة لكن يقرب أن يكون معانيها متّحدة و كلّها مضادة للعلم بمعنى أنّه يستحيل اجتماعها معه انتهى. و النّسيان عند الأطباء هو السرسام البارد و يقال له ليثرغس أيضا و هو ورم عن بلغم عفن في مجاري الروح الدماغي و قلما يعرض في جرم الدماغ أو حجابه للزوجية البلغم فلا ينفذ في الحجب لصلابتها و لا في الدماغ

للزوجيته، و إنّما سمّي به لأنّ النّسيان لازم لهذا المرض فسمّي به تسمية للملزوم باسم العرض اللازم، هكذا في الأقسرائي و بحر الجواهر[كشاف اصطلاحات الفنون : ج٢ / ١٦٩٤].

مفهوم النسيان في آية الميثاق: قراءة في دلالاته وحجيته عند العلامة الطباطبائي ره

فقد ذكر العلامة ره في الميزان في تفسير القرآن: ج٨ / ٣١٣ : أن نسيان الموقف و خصوصياته لا يضر بتمام الحجة و إنما المضر نسيان أصل الميثاق و زوال معرفة وحدانية الرب تعالى: و هو غير منسي و لا زائل عن النفس و ذلك يكفي في تمام الحجة أ لا ترى أنك إذا أردت أن تأخذ ميثاقا من زيد فدعوته إليك و أدخلته بيتك، و أجلسته مجلس الكرامة ثم بشرته و أنذرته ما استطعت، و لم تزل به حتى أرضيته فأعطاك العهد و أخذت منه الميثاق فهو مأخوذ بميثاقه ما دام ذاكرا لأصله و إن نسي حضوره عندك و دخوله بيتك و جميع ما جرى بينك و بينه وقت أخذ الميثاق غير أصل العهد.

و أن الامتناع من تجويز نسيان الجمع الكثير لذلك مجرد استبعاد من غير دليل على الامتناع مضافا إلى أن أصل المعرفة بالربوبية مذكور غير منسي كما ذكرنا و هو يكفي في تمام الحجة، و أما حديث التناسخية فليس الدليل على امتناع التناسخ منحصرا في استحالة نسيان الجماعة الكثيرة ما مضى عليهم في الخلق الأول حتى لو لم يستحل ذلك صح القول بالتناسخ بل لإبطال القول به دليل آخر كما يعلم بالرجوع إلى محله، و بالجملة لا دليل على استحالة نسيان بعض العوالم في بعض آخر.

اولاً: تحليل كلام العلامة الطباطبائي في معنى النسيان :

يبدأ العلامة الطباطبائي ره في هذا النص بتفريق دقيق بين نسيان خصوصيات الموقف ونسيان أصل الميثاق، فيرى أن الضرر إنما يلحق بالحجّة الإلهية لو نسي أصل المعرفة بالربوبية وزالت عن النفس، أما نسيان التفاصيل والخصوصيات فلا يضر شيئاً، لأن العبرة ببقاء أصل العهد في الذاكرة الباطنية والفطرة الإنسانية، ويضرب لذلك مثلاً محسوساً: لو أن زيداً أخذت منه ميثاقاً بعد أن دعوته إلى بيتك وأجلسته وأعلمته وبشرته وأنذرته، فإنه يبقى

مأخوذاً بميثاقه ما دام يتذكر أصل العهد وإن نسي كل التفاصيل من مكان اللقاء وهيأته وما جرى فيه، فهذا المثل يوضح أن النسيان الجزئي لا يسقط التكليف ولا يبطل الحجة، لأن الميثاق قائم على أصل الإقرار والمعرفة.

وإذا طبقنا هذا الفرق على آية الميثاق، نجد أن الله سُبحانه أخذ على بني آدم الإقرار بالربوبيّة، وهذا أصل الميثاق الذي لا يزول من الفطرة الإنسانيّة أبداً، وإن نسوا موقعه وزمانه وكيفيته. فالإنسان يبقى في أعماق نفسه عارفاً بأن له ربّاً يدبره ويملكه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فهذا إقرار فطري بأصل الربوبية لا يزول بالنسيان الجزئي للتفاصيل، وقال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، والفطرة هي أصل المعرفة بالله التي جبلت عليها النفوس، وهي باقية لا تزول، وإن حجبها الغفلة أو غطتها الشهوات.

ثم يرد العلامة على من يستبعد وقوع النسيان على الجمع الكثير، فيصف هذا الاستبعاد بأنه مجرد استبعاد لا دليل عليه فالقرآن نفسه يخبر عن وقوع النسيان على جماعات عظيمة مع بقاء أصل الحجّة قائماً، قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، وهم أمة عظيمة أوتيت الكتاب والمعجزات، ومع ذلك وقع منهم النسيان الجماعي لبعض ما ذكروا به، ولم يسقط ذلك حجّة الله عليهم، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥]، وآدم عليه السلام هو أبو البشر وأفضلهم بعد الأنبياء، ومع ذلك نسب الله إليه النسيان، فكيف يستبعد نسيان غيره؟ وقال تعالى عن المنافقين والمشركين: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، والنسيان هنا طال أمة بأكملها حتى أنساهم الله أنفسهم، ومع ذلك ظلوا مكلفين محاسبين على أفعالهم.

ثم يتعرض العلامة ره إلى إشكال التناسخة الذين يتوهمون أن جواز النسيان الجماعي يؤدي إلى صحّة قولهم بالتناسخ، فيرد عليهم بأن الدليل على بطلان التناسخ لا ينحصر في استحالة النسيان الجماعي، بل هناك أدلة أخرى قاطعة على بطلانه، من أهمها أن التناسخ يعني إعادة الروح إلى بدن آخر في الدنيا لتجزى بأعمالها الأولى، وهذا مخالف لنص القرآن

الذي يصرح بأن الموت مرة واحدة ثم البعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فهذه ثلاث مراحل: موت أول ثم حياة في الدنيا ثم موت ثم حياة في الآخرة، وليس هناك حياة رابعة في دنيا أخرى، وقال تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، فالبعث بعد الموت والبلى، لا في أثناء الدنيا.

والخلاصة أن نسيان خصوصيات الميثاق لا يضر بتمام الحجّة الإلهية، لأن أصل المعرفة بالربوبيّة ثابت في الفطرة لا يزول، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والبصيرة الباطنية هي التي تبقى شاهدة على أصل الميثاق وإن عميت عن التفاصيل، والله جعل النسيان سنة كونية في الدنيا لحكمة يريدها، وجعل مع ذلك من الآيات والرسل ما يذكر الناس بأصل ميثاقهم، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، فالتذكير إنّما يكون لشيء كان موجوداً ثم غاب بالنسيان، ولو كان أصل المعرفة قد زال بالكلية لما نفع تذكير، وأما ما يتوهم من لزوم القول بالتناسخ فهو توهم فاسد، لأن التناسخ يرده القرآن من وجوه أخر غير مسألة النسيان. والله أعلم.

فيما ذكره الشيخ محمّد رضا الغراوي في معنى النسيان من جملة ردوده على السيّد المرتضى ره

إذ قال في كتابه (حل الاغلاق عن اخبار الطينة والميثاق ص٦٤)، رادا على السيّد المرتضى ره في(كتاب أمالي المرتضى):

وقوله ره : (وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالتين تأثير)، فيه كيف لا يكون تأثير له في ذلك والله جلّ وعلا مصرح في القرآن بتأثيره فأنظر لقوله تعالى في قصة عزيرع، فأنك تراه مؤثرا في هذا النبي ص حتى لم يدر أنّه لبث يوما او بعض يوم فاجابه سُبحانه تعالى:" بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ" [ البقرة، الآية ٢٥٩]، وقوله تعالى في قصة أهل الكهف:"وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا

لَبِثْتُمْ" [ الكهف، الآية ١٩ ]إلى أن قال تعالى:" وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" [ الكهف، الآية ٢٥]، فلو لم يكن الموت مؤثرًا عليهم لما شككوا و لأجابوا بما ترجح في اذهانهم من مدة البقاء، واصرح من هذه دلالة على المطلق قول أهل النار لما سألوا:"كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ" [ المؤمنون، الآيتان ١١٢-١١٣]، إلى غير ذلك من الآيات، بل قد مرّ عليك ذكر الاحاديث المستفيضة في نسيانهم الميثاق من ذلك الموقف.

وقوله ره :(على أنّ تجويز النسيان ينقض الغرض)، فيه إنّما يتم هذا إذا لم يذكر الله تعالى به. واما إذا ذكرهم به بإرسال الانبياء إليهم وانزال الكتب عليهم فلا يوجب نقض الغرض البتة، بل مرّ في بعض الروايات أنهم سيذكرونه وفي بعض آخر سيقبلون به.

أولاً: تحليل كلام الشيخ الغراوي ره في النسيان مع الاستشهاد بالآيات القرآنية

إذ يبدأ الشيخ الغراوي ره بالرد على السيّد المرتضى ره الذي زعم أن تخلل الموت بين الحالتين لا تأثير له في نسيان الميثاق، فيرد عليه الغراوي ره بقوله: (كيف لا يكون تأثير له في ذلك والله جلّ وعلا مصرح في القرآن بتأثيره)، ثم يستشهد بعدة آيات قرآنية تبين أن الموت وما يشبهه من النوم الطويل أو الغيبة الطويلة يؤدي إلى نسيان الزمان وتفاصيل الأحداث.

الاستشهاد الأول: قصة عزير عليه السلام

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. فهذا النبي الكريم -وهو عزير عليه السلام- لما أماته الله مائة عام ثم بعثه، لم يدر كم لبث، فظن أنه لبث يوماً أو بعض يوم، فلو لم يكن للموت تأثير في ذهاب الإدراك والذاكرة لما شك عزير في مدة لبثه، ولأجاب بيقين، وهذا دليل صريح من القرآن على أن الموت يزيل كثيراً من التصورات والتفاصيل التي كانت في النفس قبل الموت.

الاستشهاد الثاني: قصة أصحاب الكهف (عليهم السلام)

يقول تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١١-١٢]. ثم قال عنهم حين بعثوا وتآمروا بينهم: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]. ثم أخبر الله تعالى أنهم لبثوا ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، فهؤلاء الفتية لم يمتوا موتاً حقيقياً بل ناموا نوماً طويلاً استغرق ثلاثمائة وتسع سنين، ومع ذلك استيقظوا شكوا في مدة لبثهم وظنوا أنه يوم أو بعض يوم، فلو لم يكن لهذا النوم الطويل أو الموت العارض تأثير في النسيان، لما وقع منهم هذا الشك، فهذا يؤكد أن انقطاع الصلة بالدنيا -سواء بالموت أو بالنوم الطويل- يزيل كثيراً من التفاصيل الزمنية والأحداث التي كانت معروفة من قبل.

الاستشهاد الثالث: قصة أهل النار

يقول تعالى حاكياً عن أهل النار يوم القيامة: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣]، وهذه الآية أصرح من سابقاتها دلالة على تأثير الموت والانتقال إلى عالم آخر في نسيان تفاصيل الحياة الدنيا، فأهل النار الذين قضوا في الدنيا سنين طويلة -ربما ستين أو سبعين أو مائة سنة- نسوا كل ذلك وظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم. فلو كان الموت لا يؤثر في الذاكرة، لذكروا سنين عمرهم بالضبط، لكن النسيان غلب عليهم. وهذا يؤكد أن الدنيا وما فيها من أحداث ومدد تصبح كالحلم بعد الموت، ولا يبقى منها في النفس إلا ما شاء الله أن يبقيه.

ثم يؤكد الشيخ الغراوي ره أن هذا النسيان لا ينقض الغرض الإلهي من أخذ الميثاق، كما زعم المخالفون، وذلك لأن الله لم يترك العباد ناسين بلا تذكير، بل أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ليذكروهم بما نسوه، ويجددوا في نفوسهم أصل الميثاق. ويشير إلى بعض الروايات التي تقول إنهم سيتذكرون ذلك الموقف أو سيقرون به يوم القيامة حين يسألون.

ثانياً:المقارنة بين تفسير الشيخ الغراوي ره وتفسير العلامة الطباطبائي ره في معنى النسيان

بعد تحليل كلام الشيخ الغراوي ره ، يمكننا إجراء موازنة بينه وبين كلام العلامة الطباطبائي ره السابق، على النحو التالي:

وجه الاتفاق الأول: كلا المفسرين متفق على أن النسيان واقع على بني آدم في الدنيا، وأنهم لا يتذكرون تفاصيل الميثاق ولا زمانه ولا مكانه، فالعلامة الطباطبائي ره يقر بأنهم نسوا المواقف والخصوصيات، والشيخ الغراوي ره يقر بذلك بل يؤكده بالآيات القرآنيّة التي تثبت تأثير الموت في النسيان.

وجه الاتفاق الثاني: كلا المفسرين متفق على أن هذا النسيان لا ينقض الحجّة الإلهية ولا يبطل الغرض من الميثاق. فالطباطبائي ره يرى أن أصل المعرفة بالربوبيّة ثابت في الفطرة لا يزول، والغراوي ره يرى أن الله يذكرهم بالرسل والكتب وبالبعث يوم القيامة.

وجه الاتفاق الثالث: كلا المفسرين متفق على أن حكمة الله تقتضي أن يكون هناك نسيان ثم تذكير، ولو لم يكن نسيان لما احتاج الناس إلى أنبياء ورسل، والقرآن يؤكد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١].

وجه الاختلاف الأول: تفسير سبب النسيان. فالطباطبائي ره لا يحتاج إلى القول بأن الموت سبب للنسيان، بل يرى أن النسيان أمر طبيعي في الدنيا خاصة للتفاصيل والخصوصيات التي لا تتصل ببقاء الإنسان على صلة مباشرة، بينما الغراوي ره يؤكد على أن الموت له تأثير قوي في إذهاب الذاكرة، ويستدل على ذلك بآيات عزيرع، وأصحاب الكهفع، وأهل النار.

وجه الاختلاف الثاني: منهج كل منهما في الاستدلال. فالطباطبائي ره يعتمد على الاستدلال العقلي والتمثيل المحسوس (مثل دعوة زيد إلى البيت)، بينما الغراوي ره يعتمد

على النص القرآني المباشر في قصة عزيرع، وأصحاب الكهف ع، وأهل النار، ويرى أن هذه النصوص كافية لتأكيد تأثير الموت في النسيان.

وجه الاختلاف الثالث: في الجواب على إشكال نقض الغرض. فالطباطبائي ره يجيب بأن العبرة ببقاء أصل الميثاق وهو معرفة الربوبية، وهذه باقية لا تزول، والغراوي ره يجيب بأن الله يذكرهم بالرسل والكتب، فلا يبقى الغرض منقوضاً بل يتم بإرسال الرسل بعد النسيان.

ثالثاً: التقريب بين التفسيرين في معنى النسيان

يمكننا أن نجمع بين كلام العلامة الطباطبائي ره والشيخ الغراوي ره في مسألة النسيان من خلال المقولات التالية:

القول الأول: إن الموت -كما أثبته القرآن في قصة عزيرع، وأصحاب الكهف ع، وأهل النار- له تأثير قوي في إذهاب الذاكرة وتشويش الإدراك بالتفاصيل الزمانية والمكانية. وهذا التأثير لا يختص بالموت بل يشمل النوم الطويل والغيبوبة وما يشبهها من أحوال تخرج الإنسان عن مداركه المعتادة. ومن الطبيعي أن يكون الانتقال من عالم الذر إلى عالم الدنيا الذي فصل بينهما موت أو أشبه بالموت مؤثراً في نسيان تفاصيل ذلك العالم. وهذا ما أكده الغراوي واستشهد عليه بالآيات.

القول الثاني: وبالرغم من هذا النسيان للتفاصيل، فإن أصل المعرفة بالله وربوبيته يبقى ثابتاً في الفطرة الإنسانية لا يزول، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وكما قال النبي صلى الله عليه وآله: (كل مولود يولد على الفطرة)[مسند احمد :ج١٢/ ١٠٤]. فهذه الفطرة هي الأثر الباقي من الميثاق الأول، وهي التي يقوم عليها التكليف وتتم بها الحجة. وهذا ما أكده العلامة الطباطبائي حين قال إن نسيان الخصوصيات لا يضر لأن أصل المعرفة بالربوبية غير منسي ولا زائل.

القول الثالث: إن الحجّة الإلهية لا تتم بمجرد أخذ الميثاق في عالم سابق، بل تحتاج إلى

تذكير وتجديد في هذه النشأة الدنياوية، ولذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فالرسل يذكرون الناس بما نسوه من ميثاق الفطرة، ويجددون فيهم الإقرار بالربوبية. فكلا المفسرين متفق على أن النسيان واقع، والتذكير بالرسل والكتب واجب لإتمام الحجّة.

القول الرابع: إن الله سبحانه وتعالى لن يظلم أحداً يوم القيامة، ولن يعذبه قبل أن تقوم عليه الحجّة. والنسيان الذي يقع على الناس في الدنيا لا يكون عذراً لهم يوم القيامة لأن الله سيبعث فيهم من يذكرهم، أو لأن أصل الفطرة باق فيهم، أو لأنهم سيتذكرون في ذلك اليوم ما كانوا قد نسوه، كما تشير إليه الروايات التي ذكرها الغراوي. وهذا من تمام عدل الله وحكمته.

إذا تأملنا ما ذكره العلامة الطباطبائي ره وما ذكره الشيخ الغراوي ره في معنى النسيان، وجدناهما متكاملين غير متعارضين. فالطباطبائي اهتم بإثبات بقاء أصل المعرفة بالربوبية في الفطرة رغم النسيان، وهو ما يصلح أساساً للتكليف. والغراوي اهتم بإثبات تأثير الموت في النسيان باستدلالاته القرآنية، وهو ما يفسر لنا كيف نسي الناس تفاصيل الميثاق ومعالمه. وكأن الطباطبائي يتحدث عن «النتيجة» وهي أن الحجة قائمة رغم النسيان، والغراوي يتحدث عن «السبب» وهو أن الموت كان مؤثراً في إذهاب الذاكرة. ولا تعارض بين الكلامين، بل يجتمعان في تأكيد حقيقة واحدة: أن الميثاق قد أخذ، ثم نسي الناس تفاصيله بسبب الموت أو الانتقال إلى الدنيا، وبقي أصل المعرفة بالربوبية في فطرة الإنسان ليكون أساساً للتكليف، وجاءت الرسل والكتب لتذكر الناس بما نسوه، فتمت الحجة وزال العذر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع:


١. القران الكريم

٢. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، محقق / الأمين، حسن، المتوفى سنة ١٤٢٣ هـ ، بيروت ، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٤٠٣ هـ

٣. ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصص ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط١ .

٤. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، محقق / مصحح: الغضبان، عامر،واخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤١٦ هـ.

٥. التهانوي، محمد علي بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١، ١٩٩٦ م.

٦. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

٧. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، دمشق.

٨. الغراوي، محمد رضا ، حل الاغلاق عن اخبار الطينة والميثاق، العراق، مكتبة نصيحة الضال ، مخطوط، ١٣٧٣ هـ

٩. الغراوي، رافد، روض العطاء في حياة الشيخ محمد رضا المعطاء، العراق ، مكتبة نصيحة الضال ، ط١، ١٤٤٣ هـ

١٠. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

١١. علم الهدى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى( غرر الفوائد ودرر القلائد)، محقق / مصحح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٨ م.

١٢. المطرزي، ناصر بن عبد السيد ، المغرب في ترتيب المعرب، حلب ، مكتبة أسامة بن زيد ، ط١، ١٩٧٩ م.